A problem of defining knowledge in contemporary philosophy

Nawar Tofig Essa*

(Received 19 / 9 / 2025. Accepted 16 / 12 / 2025)

□ ABSTRACT □

Epistemology is a central branch of philosophy that examines the nature, sources and limits of knowledge. This study aims to address contemporary epistemological issues that hinder defining knowledge by tracing the historical path of the classical definition and analyzing the criticisms raised by Gettier.

It presents the most important alternatives offered by modern epistemological theories such as causal, reliabilist and virtue epistemology.The classical definition of knowledge as justified true belief collapsed after Gettier's objections, and modern approaches suggested multiple substitutes that link knowledge to reliable cognitive processes, appropriate environmental conditions and the relation between belief and reality.

These theories highlighted the role of the knowing subject and showed that defining knowledge is an open and complex problem not settled by ancient or contemporary philosophy.The study concludes that a comprehensive theoretical framework is needed to connect classical and contemporary views and to integrate the moral dimension of knowledge by emphasizing the responsibility of the knower and the importance of methodological and philosophical rigor.

Keywords: knowledge - contemporary philosophy - epistemology.

Copyright **:**Latakia University journal (formerly tishreen) -Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Master's– Department of Philosophy – Faculty of Arts and Humanities – University of Latakia (formerly tishreen) – Syria.** Nawar.essa@latakia-univ.edu.sy

إشكالية تعريف المعرفة في الفلسفة المعاصرة

نوار توفيق عيسى*

(تاريخ الإيداع 19 / 9 / 2025. قبل للنشر في 16 / 12 / 2025)

□ ملخّص □

تحتل الإبستيمولوجيا موقعاً محورياً في الفلسفة، فهي العلم الذي يدرس طبيعة المعرفة الإنسانية ومصادرها وحدودها، وهدف البحث إلى الكشف عن الإشكاليات الجوهرية التي تحيط بتعريف المعرفة في الفلسفة المعاصرة وذلك من خلال تتبع المسار التاريخي للتعريف الكلاسيكي منذ أفلاطون، وتحليل النقد الذي وُجّه إليه في ضوء معضلة جيتييه، ثم استعراض أبرز البدائل التي قدمتها النظريات الإبستيمولوجية الحديثة كالأسسية والموثوقية وإبستيمولوجيا الفضائل.

أثبت التعريف الكلاسيكي للمعرفة باعتبارها اعتقاداً صادقاً بعد اعتراضات جيتييه التي أبرزت قصوره، كما قدمت المقاربات المعاصرة بدائل متعددة، منها الموثوقية التي ربطت المعرفة بآليات إدراكية موثوقة، والنظرية السببية التي اشترطت علاقة سببية مباشرة بين الواقع والاعتقاد، ونظرية فضائل المعرفة التي ركزت على البعد الأخلاقي للفاعل المعرفي، ومن أهم النتائج التي تم التوصل إليها: يمثل تعريف المعرفة قضية إشكالية متجددة لم يُحسم فيها الجدل منذ الفلسفة اليونانية القديمة وحتى الفلسفات المعاصرة.

ومن أهم التوصيات: ضرورة تبني مقاربة تكاملية لتعريف المعرفة تجمع بين الأبعاد التقليدية والمعاصرة والاهتمام بالبعد الأخلاقي للمعرفة عبر تعزيز فضائل التفكير النقدي ضمن المناهج التعليمية والفلسفية.

الكلمات المفتاحية: المعرفة – الفلسفة المعاصرة – الإبستيمولوجيا.

حقوق النشر : مجلة جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً)– سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY–NC–SA 04

*ماجستير – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً) – سوريا.
Nawar.essa@latakia-univ.edu.sy

مقدمة:

تحتل الإبستيمولوجيا موقعاً محورياً في الفلسفة، فهي العلم الذي يدرس طبيعة المعرفة الإنسانية، وشروط إمكانها ومصادرها وحدودها ومنذ أن تساءل الفلاسفة الأوائل عن طبيعة ما نعرفه وكيف نعرفه، ظل سؤال المعرفة يتصدر المباحث الفلسفية الكبرى إلى جانب سؤال الوجود وسؤال القيم.

إنّ طرح السؤال الإبستيمولوجي "ما المعرفة؟" يبدو بسيطاً من حيث الصياغة، لكنه سرعان ما ينفتح على إشكاليات عميقة تتعلق بالصدق والاعتقاد والتبرير ومكانة الإنسان في العالم.

لقد شكّل تعريف أفلاطون للمعرفة بأنها "اعتقاد صادق مبرّر" نقطة انطلاقٍ مركزية في تاريخ الفلسفة، حيث أرسى الأسس الأولى لمفهوم يربط بين الصدق من جهة، والتبرير العقلاني أو التجريبي من جهة أخرى، وظل هذا التعريف المعروف في الأدبيات الإبستيمولوجية بـ "النموذج الكلاسيكي للمعرفة" سائداً لفترة طويلة حتى وُجِّهت له انتقادات حادة في الفلسفة الحديثة والمعاصرة.

مع منتصف القرن العشرين وتحديداً في العام (1963) جاء الفيلسوف الأميركي إدموند جيتييه ليطرح إشكاليته الشهيرة التي أظهرت أن توفّر شروط الاعتقاد والصدق والتبرير لا تكفي بالضرورة لتكوين معرفة حقيقية، إذ يمكن للإنسان أن يمتلك اعتقاداً صادقاً ومبرَّراً، لكنه يظل غير مستند إلى معرفة بالمعنى الدقيق للكلمة، وهذه المعضلة فتحت الباب أمام سلسلة واسعة من النقاشات والاقتراحات التي لا تزال مستمرة حتى اليوم.

بعد ذلك تعدّدت محاولات الفلاسفة في معالجة هذا الخلل حيث ظهرت النظريات التأسيسية التي أكدت ضرورة وجود معتقدات أساسية تشكل قاعدة لبناء المعرفة، كما برز الاتجاه الموثوقي الذي ربط المعرفة بآليات معرفية موثوقة قادرة على إنتاج الصدق، لكن في المقابل دافعت "إبستيمولوجيا الفضائل" عن فكرة أنّ المعرفة ليست مجرد اعتقاد صادق مبرَّر وإنما هي ثمرة لمَلَكات عقلية وفضائل معرفية يمارسها الفاعل وهذه الاتجاهات جميعها تعكس حجم الإشكال القائم في تعريف المعرفة، وتبيّن أن المفهوم الكلاسيكي البسيط لم يعد قادراً على استيعاب التعقيد الذي وصل إليه التفكير الفلسفي.

مع دخول الفلسفة في تفاعل مباشر مع العلوم المعرفية وعلم النفس المعرفي وعلم الأعصاب توسعت آفاق النقاش لتشمل قضايا تتعلق بطبيعة الإدراك وآليات معالجة المعلومات والعلاقة بين الوعي والمعرفة، بل وأصبح سؤال "ما المعرفة؟" يرتبط أيضاً بالتطورات التكنولوجية مثل الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة وشبكات التواصل الاجتماعي التي تطرح تحديات جديدة حول المصداقية والسلطة المعرفية وإمكان التمييز بين المعرفة الحقيقية والمعلومات المضللة.

كل ذلك يجعل إشكالية تعريف المعرفة في الفلسفة المعاصرة ليست مجرد امتداد لنقاش كلاسيكي، بل هي قضية متجددة تمسّ حياة الإنسان اليومية، وتمسّ أيضاً قدرة المجتمعات على إنتاج معرفة رصينة في عالم سريع التغير.

من هنا تنبع أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى تتبّع مسار تعريف المعرفة من صيغته الكلاسيكية إلى صيغته الإشكالية الراهنة، وتحليل أبرز المواقف الفلسفية المعاصرة بغية الكشف عن حدود التعريفات المطروحة وإبراز إمكان بناء تصور أكثر شمولاً لطبيعة المعرفة الإنسانية في زمننا الراهن.

إشكالية البحث:

رغم أن الفلسفة منذ بداياتها الأولى سعت إلى تحديد معنى واضح للمعرفة بدءاً من الصياغة الأفلاطونية الكلاسيكية التي اعتبرتها "اعتقاداً صادقاً مبرراً"، إلا أنّ هذا التعريف لم يصمد أمام النقد المعاصر خاصةً بعد ظهور معضلة جيتييه وما ترتب عليها من محاولات فلسفية متعددة لإعادة صياغة مفهوم المعرفة، فقد تباينت الاتجاهات بين من يربط المعرفة بآليات عقلية موثوقة، ومن يرى أنها ثمرة فضائل معرفية، ومن يذهب إلى أنّ مفهوم المعرفة نفسه غير قابل للتحديد الدقيق.

إنّ هذا التعدد في المقاربات يعكس عمق الأزمة الإبستيمولوجية المعاصرة، ويطرح سؤالاً محورياً حول إمكان صياغة تعريف جامع مانع للمعرفة في ظل هذه التحولات.

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي: كيف يمكن مقاربة إشكالية تعريف المعرفة في الفلسفة المعاصرة، في ضوء النقد الموجَّه للتعريف الكلاسيكي والبدائل المطروحة لتجاوزه؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول إحدى أكثر القضايا الفلسفية إلحاحاً في الإبستيمولوجيا، وهي مسألة تعريف المعرفة التي تمثل أساساً لكل نقاش فلسفي لاحق يتعلق بالصدق والتبرير واليقين، حيث أن إعادة النظر في هذا المفهوم لا تقتصر على قيمة نظرية مجردة، بل تمتد لتؤثر في ميادين متعددة مثل التعليم والعلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية وحتى التكنولوجيا المعاصرة، حيث أصبحت مسألة التمييز بين المعرفة والمعلومة في عصر التدفق الرقمي قضية مركزية.

كما تكمن أهمية البحث في سعيه إلى الربط بين الجذور الكلاسيكية لتعريف المعرفة والنقاشات الفلسفية المعاصرة، مما يتيح رؤية شمولية تساعد على فهم المأزق الإبستيمولوجي الراهن، وتفتح آفاقاً جديدة أمام إمكانية صياغة مقاربة أكثر توازناً لطبيعة المعرفة الإنسانية.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن الإشكاليات الجوهرية التي تحيط بتعريف المعرفة في الفلسفة المعاصرة وذلك من خلال تتبع المسار التاريخي للتعريف الكلاسيكي منذ أفلاطون وتحليل النقد الذي وُجّه إليه في ضوء معضلة جيتييه، ثم استعراض أبرز البدائل التي قدمتها النظريات الإبستيمولوجية الحديثة كالأسسية والموثوقية وإبستيمولوجيا الفضائل.

يسعى البحث من خلال هذا المسار إلى إبراز حدود كل مقاربة وإمكاناتها وصولاً إلى تقديم رؤية تحليلية تسهم في توضيح أبعاد المشكلة وفتح آفاق أمام صياغة تصور أكثر ملاءمة لتعريف المعرفة في السياق الفلسفي الراهن.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي – النقدي، الذي يقوم على دراسة النصوص الفلسفية الكلاسيكية والمعاصرة المتعلقة بتعريف المعرفة وتحليل مضامينها ومقارنتها للكشف عن أوجه القوة والضعف في كل اتجاه، كما يوظف البحث المنهج التاريخي في تتبع تطور مفهوم المعرفة منذ تعريفه الأفلاطوني وحتى الإشكاليات المعاصرة التي طرحتها معضلة جيتييه وما تلاها من مقاربات إبستيمولوجية.

يستعين البحث أيضاً بالمنهج المقارن لإبراز الفروق الجوهرية بين النماذج النظرية المختلفة وإظهار كيفية انتقال النقاش من النموذج الكلاسيكي إلى صيغ متعددة تحاول إعادة بناء المفهوم أو تجاوزه، وبهذا يجمع البحث بين التحليل النقدي والتتبع التاريخي والمقارنة المنهجية بغية الوصول إلى فهم شامل لإشكالية تعريف المعرفة في الفلسفة المعاصرة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والتاريخي لتعريف المعرفة:

تُعَدُّ المعرفة من أكثر المفاهيم إشكالية في تاريخ الفلسفة، فهي ليست مجرد عملية إدراك أو تجميع للوقائع، بل هي مفهوم مركب يتداخل فيه البعد المعرفي مع البعد القيمي والوجودي، ولهذا السبب انشغل الفلاسفة عبر العصور بمحاولة ضبط معناها وتحديد خصائصها باعتبارها الأساس الذي تقوم عليه كل عملية تفكير أو بناء نظري.

أولاً: التعريف الكلاسيكي للمعرفة:

يعود التعريف الأشهر للمعرفة إلى الفيلسوف اليوناني أفلاطون الذي طرح في محاورة تيتاتوس إحدى أولى المحاولات الجادة لصياغة مفهوم دقيق للمعرفة، فقد اعتبر أن المعرفة ليست مجرد رأي أو اعتقاد، بل هي اعتقاد صادق مبرَّر (Justified True Belief)، ويعني ذلك أنّ كل ادعاء بالمعرفة ينبغي أن يجمع بين ثلاثة عناصر متلازمة:

1. أن يكون لدى الفرد اعتقاد معين، إذ لا يمكن الحديث عن معرفة من دون وجود موقف ذهني مسبق تجاه قضية ما.
2. أن يكون هذا الاعتقاد صادقاً، أي متطابقاً مع الواقع أو مع الحقيقة الموضوعية وإلا كان مجرد وهم أو خطأ.
3. أن يكون الاعتقاد مبرَّراً، أي مؤسساً على دليل أو برهان عقلاني أو تجربة حسية، يمنحه قوة تتجاوز مجرد الرأي الشخصي [15].

بهذا المعنى لا تكفي مطابقة الاعتقاد للواقع لكي يُعَدّ معرفة كما لا يكفي مجرد التبرير دون الصدق، بل يجب أن تتكامل الأركان الثلاثة حتى يتحقق المفهوم الكامل للمعرفة، ومن هنا جاء الطابع المعياري للتعريف الكلاسيكي فهو لا يصف فقط كيف يعتقد الإنسان، بل يضع معايير تميّز بين الرأي (doxa) والمعرفة (episteme).

شكّل هذا التعريف منعطفاً أساسياً في تاريخ الفلسفة، لأنه حاول أن يضع حدوداً فاصلة بين المعرفة بوصفها يقيناً قائماً على أسس موضوعية، وبين الاعتقاد أو الظن الذي قد يكون شائعاً بين الناس من دون أن يرقى إلى مستوى الحقيقة.

لهذا فإن التعريف الأفلاطوني ظلَّ على بساطته بمثابة المرجع الرئيس للجدل الفلسفي حول طبيعة المعرفة طوال العصور القديمة والوسيطة والحديثة إلى أن تعرض في القرن العشرين لنقد جوهري أظهر محدوديته [17].

ثانياً: تطور مفهوم المعرفة في الفلسفة القديمة والوسيطة:

في الفلسفة اليونانية كان التفريق جوهرياً بين المعرفة (episteme) التي تعني علماً يقينياً قائماً على البرهان، وبين الرأي (doxa) الذي لا يتجاوز كونه تصوراً ظنياً أو تجربة شخصية غير مضمونة، وقد أولى الفلاسفة اهتماماً خاصاً بالبحث عن الأسس التي تميّز (episteme) عن (doxa)، لأن الرأي قد يكون صحيحاً اتفاقاً لكنه لا يقوم على أساس برهاني يضمن استمراره وصلاحيته كمعرفة [7].

وقد واصل أرسطو ما بدأه أستاذه أفلاطون، لكنه صاغ تصوراً أكثر منهجية للمعرفة حيث اعتبر أن المعرفة الحقيقية تقوم على البرهان العقلي (apodeixis) المستند إلى مبادئ أولى وبديهيات لا تحتاج إلى برهان.

من هنا جاءت تمييزاته الدقيقة بين أنماط المعرفة:

- episteme أي العلم النظري الذي يسعى إلى الحقيقة لذاتها.
- techne أي المعرفة العملية أو المهارة التقنية.

- phronesis أي الحكمة العملية التي تتعلق بالفعل الأخلاقي [9].

هذا التقسيم أرسى أساساً لفهم متدرج لطبيعة المعرفة، حيث أصبحت مرتبطة ليس فقط بالصدق والتبرير، بل أيضاً بغائية النشاط العقلي نفسه: هل هو بحث عن الحقيقة، أم مهارة نافعة، أم حكمة عملية توجه السلوك.

أما في الفلسفة الوسيطة فقد اندمجت نظرية المعرفة اندماجاً عميقاً باللاهوت المسيحي، حيث لم يعد التبرير مقتصراً على الدليل العقلي وحده، بل شمل أيضاً المرجعية الإيمانيةحيث أكَّدَ أوغسطين (354–430م) أن النور الإلهي هو الذي يهب الإنسان القدرة على المعرفة، وأن العقل لا يستطيع بلوغ الحقيقة من دون عون إلهي.

ثم جاء توما الأكويني (1225–1274م) ليقدّم رؤية توفيقية جمعت بين العقل والإيمان مؤكداً أن الحقيقة واحدة وأن مصدرها النهائي هو الله باعتباره الحقيقة المطلقة غير أن الإنسان يمكنه أن يبلغها بالعقل من جهة، وبالوحي من جهة أخرى [6].

في هذا السياق صار التبرير المعرفي ذو بعد مزدوج (عقلي – لاهوتي)، حيث لم يعد العقل وحده كافياً، بل أضحى الإيمان عنصراً أساسياً في ضمان صدق المعرفة، وبذلك اتخذت نظرية المعرفة في العصور الوسطى طابعاً لاهوتياً قوياً جعلها جزءاً من مشروع الدفاع عن العقيدة بقدر ما هي بحث في طبيعة الحقيقة.

ثالثاً: المعرفة في الفلسفة الحديثة:

شهد العصر الحديث تحولاً جذرياً في النظر إلى المعرفة، حيث أعيد طرح السؤال الإبستمولوجي بعيداً عن الأطر اللاهوتية التي سيطرت على الفلسفة الوسيطة ليتجه البحث نحو تأسيس يقين علمي وفلسفي مستقل، فقد مثّل ديكارت لحظة مفصلية حين انطلق من الشك المنهجي كأداة لتصفية كل ما يمكن أن يكون موضع التباس أو زيف، وانتهى إلى الكوجيتو (أنا أفكر إذاً أنا موجود).

هذا المبدأ اعتُبر عنده يقيناً أولياً لا يمكن الشك فيه، وجعل منه قاعدة تُبنى عليها بقية المعارف، من هنا برزت النزعة العقلانية التي ترى أن للعقل مبادئ فطرية وقدرات مستقلة عن التجربة تجعله أساس اليقين المعرفي [18].

في المقابل ظهر تيار التجريبية مع فلاسفة مثل جون لوك الذي أكد أن العقل يولد كـ "صفحة بيضاء(tabula rasa) "، لا يحتوي على أفكار سابقة وإنما تُكتسب المعرفة كلها من خلال التجربة الحسية.

وقد تطرف ديفيد هيوم في هذا الاتجاه فأنكر إمكانية تأسيس معرفة يقينية تتجاوز نطاق الخبرة المباشرة واعتبر أن كثيراً مما نعده قوانين أو علاقات سببية ليس سوى عادات ذهنية أو توقعات نفسية ناشئة عن تكرار التجربة [1].

أما إيمانويل كانط فقد سعى إلى تجاوز الصراع بين العقلانيين والتجريبيين من خلال ما أسماه بـ"النقد"، حيث ميّز بين المعرفة القبلية (a priori) التي يفرضها الذهن من خلال مقولاته وصوره الإدراكية، وبين المعرفة البعدية (a posteriori) التي تأتي من التجربة الحسية [11].

بهذا اعتبر أن المعرفة لا تنشأ من التجربة وحدها ولا من العقل وحده، بل هي حصيلة تفاعل جدلي بين ما يمنحه الواقع وما يضيفه الذهن، وهذا التصور الكانطي فتح الباب أمام تحول إبستمولوجي جديد قاد لاحقاً إلى فلسفات القرن التاسع عشر والقرن العشرين مثل الوضعية والمنطقية التجريبية والهرمنيوطيقا.

رابعاً: ملامح الانتقال إلى النقاش المعاصر:

مع مطلع القرن العشرين ظلَّ التعريف الأفلاطوني للمعرفة باعتبارها "اعتقاداً صادقاً مبرراً" هو النموذج المهيمن على النقاش الفلسفي، حيث اعتمد الفلاسفة عليه كإطار معياري يحدد شروط قيام المعرفة، غير أن هذا الإطار بدأ يتعرض

لهزات نقدية مع تطور النقاش الإبستيمولوجي خاصةً مع إسهامات الفلسفة التحليلية، فقد أولى الفلاسفة التحليليون أهمية لتفكيك المفاهيم وضبط الحدود الدقيقة بينها مما أفضى إلى مساءلة الأسس التقليدية للتعريف الأفلاطوني [12].

في عام 1963 جاءت لحظة التحول الحاسمة مع إدموند جيتييه حين نشر مقالته القصيرة التي أثارت جدلاً واسعاً في الفكر الفلسفي، فقد قدّم جيتييه أمثلة أظهرت إمكانية تحقق الاعتقاد الصادق المبرر دون أن يرقى إلى مرتبة "المعرفة"، وهو ما كشف عن ثغرة عميقة في النموذج الكلاسيكي، ومنذ ذلك الحين لم يعد من الممكن الاكتفاء بالصيغة الأفلاطونية بل انفتح النقاش على بدائل متعددة [6].

تجلّت ملامح هذا الانتقال في بروز مقاربات جديدة مثل النزعة الاعتمادية (reliabilism) التي ترى أن تبرير الاعتقاد ينبغي أن يستند إلى عمليات معرفية موثوقة والنزعة السياقية (contextualism) التي تؤكد أن معايير المعرفة تختلف باختلاف السياقات العملية واللغوية، إضافة إلى مقاربات الفضيلة المعرفية التي تربط المعرفة بخصال عقلية وأخلاقية لدى الفاعل.

كما أسهمت العلوم المعرفية الحديثة في إثراء الإبستيمولوجيا عبر دراسة الآليات الإدراكية والذهنية التي تقف وراء عملية المعرفة [8]، وبذلك انتقلت نظرية المعرفة من البحث عن تعريف جوهري ونهائي للمعرفة إلى فضاء أوسع من النقاشات حول شروطها وحدودها ومصادرها ووظائفها في الحياة الإنسانية والعلمية، وهذا التحول مثّل بداية مرحلة جديدة ما تزال مستمرة حتى اليوم تتسم بتعدد الأصوات وتداخل الفلسفة مع العلوم الإنسانية والطبيعية.

بهذا يتضح أن تعريف المعرفة لم يكن ثابتاً عبر التاريخ، بل كان يتغير وفق السياقات الفكرية والوجودية التي عاشتها البشرية بدءاً من التصور الأفلاطوني العقلي مروراً باللاهوت الوسيط وصولاً إلى النزعات العقلانية والتجريبية والنقدية الحديثة تمهيداً لظهور الإشكالات المعاصرة التي سيعالجها هذا البحث.

المبحث الثاني: معضلة جيتييه ونقد التعريف الكلاسيكي:

أولاً: التبرير في النموذج الكلاسيكي:

ارتبطت نظرية المعرفة التقليدية منذ أفلاطون وحتى العصور الوسطى بفكرة أن المعرفة الحقة هي "الاعتقاد الصادق المبرَّر"، ويعتبر هذا التعريف الذي صار يعرف لاحقاً بـ النموذج الكلاسيكي للمعرفة، من أكثر التعريفات رسوخاً في الفلسفة فهو يفترض أن هناك ثلاثة شروط أساسية لا بد من توافرها معاً وهي:

1. أن يكون هناك اعتقاد.
2. أن يكون ذلك الاعتقاد صادقاً.
3. أن يقوم على تبرير كافٍ [11].

غير أن السؤال المحوري هنا هو ما المقصود بالتبرير؟، لقد نظر الفلاسفة إلى التبرير بوصفه جسر العبور من مجرد الرأي أو الظن إلى مستوى المعرفة، فالاعتقاد قد يكون صادقاً بمحض المصادفة كما قد يحدث أن يتطابق رأي شخص ما مع الحقيقة دون أن يمتلك سبباً مقنعاً لهذا التطابق وفي مثل هذه الحالة لا يكون لدينا معرفة حقيقية لأن غياب التبرير يعني أن الاعتقاد لا يستند إلى أساس عقلاني يمكن الدفاع عنه أو إقناع الآخرين به.

في محاورات أفلاطون، لا سيما في محاورة مينون، يظهر بوضوح أن الرأي الصائب رغم أهميته العملية يظل أدنى مرتبة من المعرفة ما لم يكن "مربوطاً" بتفسير عقلاني، فالمعرفة عنده ليست مجرد تطابق خارجي مع الحقيقة، بل هي إدراك عقلاني مبرَّر لهذا التطابق وهذا ما يميز المعرفة عن الحدس العابر أو الصدفة [18].

أما عند أرسطو فقد ارتبط التبرير بمفهوم البرهان القياسي، فالمعرفة اليقينية – في تصوره – لا تتحقق إلا إذا أمكن ردّها إلى مبادئ أولية بديهية ثم استنتاجها من خلال منطق صارم، وهنا يصبح التبرير هو الضمانة المنطقية التي ترفع الاعتقاد إلى مستوى "العلم (episteme) " أي المعرفة المنظّمة والمبرّرة [1].

في العصور الوسطى للفلسفة المدرسية ولا سيما عند القديس توما الأكويني جرى دمج التبرير الفلسفي مع الإيمان الديني، فالمعرفة الحقة عنده يجب أن تكون صادقة ومبرَّرة، لكن التبرير قد يستند أحياناً إلى العقل البرهاني وأحياناً أخرى إلى سلطة الوحي والنص المقدس، وقد مثّل هذا الدمج محاولة لتوحيد التقليد الأرسطي مع العقيدة المسيحية، حيث ظل التبرير معياراً ضرورياً لحماية المعرفة من الوقوع في دائرة الظنون أو الخرافات [18].

إن جوهر هذا التصور الكلاسيكي يتمثل في أن المعرفة ليست مجرد حالة نفسية فردية، وإنما موقف معرفي عقلاني يمكن تبريره والدفاع عنه أمام العقل الجمعي، وبهذا المعنى يصبح التبرير هو العنصر الذي يمنح الاعتقاد شرعيته الفلسفية والعلمية، ويجعله يتجاوز البعد الشخصي إلى بُعد موضوعي عام.

ثانياً: النظريات البديلة بعد جيتييه:

أحدثت إشكالية جيتييه تحولاً جذرياً في نظرية المعرفة، حيث أجبرت الفلاسفة على إعادة النظر في الأسس التقليدية لتعريف المعرفة، ومنذ ستينيات القرن العشرين ظهرت عدة اتجاهات حاولت تقديم بدائل أو تعديلات تتجاوز قصور تعريف "الاعتقاد الصادق المبرَّر".

1. **النظريات الموثوقية (Reliabilism):** تنطلق هذه النظرية التي ارتبطت بأعمال ألفين غولدمان من أن معيار المعرفة ليس مجرد وجود مبررات ذاتية، بل قدرة العمليات المعرفية ذاتها على إنتاج اعتقادات صادقة بشكل موثوق، فالإدراك الحسي والذاكرة والاستدلال الاستنباطي كلها عمليات إذا كانت تعمل بشكل سليم فهي تؤدي عادة إلى الحقيقة. بالتالي يصبح الاعتقاد معرفة إذا نتج عن آلية معرفية "موثوقة"، حتى وإن لم يكن صاحب الاعتقاد قادراً على تقديم مبررات تفصيلية لذلك [2].

2. **النظريات السببية (Causal Theories):** سعت هذه النظريات إلى بناء جسر مباشر بين "الواقع" و"الاعتقاد" معتبرة أن المعرفة تستلزم وجود علاقة سببية صحيحة بين الشيء في العالم الخارجي والاعتقاد الذي يتبناه الفرد، فمثلاً إذا رأيت شجرة أمامك فإن وجود هذه الشجرة هو ما يسبب إدراكك لها وهذا هو ما يجعل اعتقادك معرفة، أما إذا كان الاعتقاد صائباً بالصدفة دون علاقة سببية (كما في أمثلة جيتييه)، فلا يمكن اعتباره معرفة [16].

3. **النظريات السياقية (Contextualism):** مع بروز التيارات ما بعد الحداثية والاجتماعية في الفلسفة، ظهر السياقيون الذين رأوا أن معايير التبرير والمعرفة ليست ثابتة بل تتغير بتغير السياق، فما يُعد معرفة في محادثة يومية قد لا يُعد كذلك في نقاش علمي صارم، وبذلك يصبح مفهوم المعرفة نسبياً للسياق الاجتماعي واللغوي الذي يُستخدم فيه، وهذا الطرح وفّر مرونة في التعامل مع الإشكالات العملية لكنه في الوقت ذاته فتح نقاشاً حول حدود الموضوعية في المعرفة [12].

4. **المقاربات الفضائلية (Virtue Epistemology):** يمثل هذا الاتجاه نقلة في التركيز من الشروط الخارجية للمعرفة إلى "الفاعل العارف" نفسه، فقد رأى فلاسفة مثل إرنست سوزا ولیندا زاجزيبسكي أن المعرفة ثمرة لامتلاك الفرد فضائل معرفية مثل الانتباه، الحذر الفكري، الموضوعية، والصدق مع الذات، وبهذا تصبح المعرفة نتاجاً "لشخصية معرفية فاضلة" أكثر منها مجرد تفاعل بين الاعتقاد والتبرير [13].

يمكن القول إن هذه النظريات لم تلغِ النقاش الكلاسيكي، بل أعادت صياغته بطرق جديدة، فهي إما أعادت تعريف التبرير، أو تجاوزته نحو معايير أخرى كالموثوقية أو الفضائل المعرفية، وما يزال الجدل قائماً حتى اليوم بين من يفضلون إعادة بناء التعريف التقليدي وبين من يرون أن المعرفة لا يمكن اختزالها في شروط محددة ثابتة.

ثالثاً: أثر التحولات على مفهوم التبرير:

لقد أفرزت التحولات الفلسفية التي أعقبت نقد جيتييه ومناقشات ما بعده فهماً أكثر عمقاً واتساعاً لمفهوم التبرير، ففي الإطار الكلاسيكي كان التبرير يُفهم غالباً كعملية عقلية منطقية تستند إلى دلائل أو براهين يُقيمها الفرد بشكل مستقل غير أنّ النقاشات الحديثة أظهرت أنّ هذا التصور ضيق ولا يفي بتعقيد الظاهرة المعرفية.

أولاً: على مستوى الموثوقية، صار التبرير يُربط بفاعلية العمليات المعرفية التي يعتمدها الإنسان، أي بقدرتها على إنتاج اعتقادات صادقة بشكل منهجي ومتكرر مثل الإدراك الحسي السليم أو الذاكرة الدقيقة، وهذا التحول يخرج التبرير من الحيز الفردي الذاتي إلى إطار أكثر موضوعية قائم على أداء الآليات المعرفية نفسها [9].

ثانياً: مع السياقية، بات التبرير مفهوماً نسبياً يخضع لشروط اجتماعية ولغوية وثقافية فلم يعد هناك معيار واحد مطلق للتبرير، بل تعددت المعايير بحسب المواقف والسياقات الخطابية، فمعيار التبرير المقبول في محادثة يومية قد لا يكون كافياً في محكمة قانونية أو في بحث علمي [4].

ثالثاً: مع المقاربات الفضائلية، تحول التركيز من مجرد صحة المبررات إلى شخصية الفاعل المعرفي نفسه، فالتبرير لم يعد ينحصر في امتلاك أدلة، بل في طريقة تعامل الفرد مع الأدلة وفي امتلاكه فضائل مثل الصدق الفكري والتواضع المعرفي واليقظة النقدية وهذا البعد الأخلاقي/العملي أضاف للتبرير بعداً إنسانياً يتجاوز البنية الصورية [3].

وأخيراً أبرزت النقاشات المعاصرة أهمية البعد الاجتماعي للتبرير حيث لم يعد يُنظر إلى المعرفة باعتبارها نشاطاً فردياً منعزلاً، بل كمحصلة لتفاعل اجتماعي قائم على الحوار وتبادل الشهادات وتقييم الأدلة جماعياً وهذا البعد الاجتماعي–المعرفي فتح المجال لربط التبرير بمجالات كالفلسفة اللغوية وعلم الاجتماع المعرفي [7].

بناءً على ذلك أصبح مفهوم التبرير في الإبستيمولوجيا الحديثة أكثر ديناميكية وتعددية الأبعاد فهو عملية معرفية وسياقية وفضائلية واجتماعية في آنٍ واحد وهذا التحول يعكس إدراك الفلاسفة المعاصرين أنّ المعرفة ليست مجرد اعتقاد مبرَّر فردياً، بل ظاهرة معقدة تتقاطع فيها أبعاد نفسية ولغوية واجتماعية وأخلاقية مما يفتح الباب لتعريفات أوسع وأكثر شمولية للمعرفة.

المبحث الثالث: الاتجاهات الفلسفية المعاصرة في تعريف المعرفة:

مع تزايد تعقيد النقاشات الإبستيمولوجية منذ منتصف القرن العشرين لم يعد تعريف المعرفة مقتصراً على الصياغة الكلاسيكية (الاعتقاد الصادق المبرَّر)، بل برزت اتجاهات فلسفية معاصرة حاولت إعادة بناء المفهوم بما يتلاءم مع التحديات الجديدة التي طرحتها إشكالية جيتييه وتطور العلوم المعرفية والنقاشات الاجتماعية واللغوية، ويمكن تمييز أربعة اتجاهات رئيسة:

أولاً – الإبستيمولوجيا الموثوقية (Reliabilism):

يقوم هذا الاتجاه الذي ارتبط باسم ألفين غولدمان (Alvin Goldman) على أن المعرفة لا تُختزل في مجرد امتلاك المبررات العقلية، بل في كون عملية تكوين الاعتقاد نفسها ناتجة عن آلية معرفية موثوقة (reliable cognitive process)، فالإدراك الحسي والذاكرة والاستدلال المنطقي تُعدّ من أبرز هذه الآليات

حيث إنها عادةً ما تقود إلى الحقيقة ومن هنا يتحول التركيز من بنية المبررات إلى طبيعة المصدر والعملية التي أنتجت الاعتقاد وبهذا التصور تحاول الموثوقية تجاوز إشكالية جيتييه عبر التأكيد على أن المعرفة ليست مجرد اعتقاد صادق مبرر، وإنما اعتقاد تشكّل من خلال مسار منهجي ومنضبط يفضي في الغالب إلى نتائج صحيحة [15].

ثانياً – الإبستيمولوجيا السببية (Causal Epistemology):

ظهر هذا التوجه في أعمال فلاسفة مثل ألفين غولدمان وريتشارد نوزيك (Robert Nozick)، حيث ركز على أن المعرفة تفترض وجود صلة سببية مباشرة بين الواقع الخارجي وبين الاعتقاد فعلى سبيل المثال، إذا كان الشخص يعرف أن هناك شجرة أمامه فإن ذلك يعود إلى أن وجود الشجرة هو الذي تسبب بشكل مباشر في تكوين اعتقاده، وقد جاءت هذه النظرية لتجاوز إشكالية التطابق العرضي التي أبرزها جيتييه من خلال التأكيد على أن الاعتقاد لا يُعد معرفة إلا إذا ارتبط بالواقع بعلاقة سببية صحيحة، لا مجرد توافق أو مصادفة [17].

ثالثاً – السياقية (Contextualism):

تطورت هذه المقاربة لتؤكد أن معايير المعرفة ليست ثابتة أو مطلقة، بل تتغير باختلاف السياقات العملية واللغوية والاجتماعية، فالمعيار الذي يُقبل في الحياة اليومية قد لا يكون كافياً في حقل القانون أو العلم وبذلك أبرزت السياقية البعد النسبي والمعياري للمعرفة، حيث تُبنى شروط التبرير والمعقولية على ما يقتضيه الموقف والسياق [6].

رابعاً – الإبستيمولوجيا الفضائلية (Virtue Epistemology):

يمثل هذا الاتجاه نقلة نوعية من التركيز على المبررات أو الآليات إلى التركيز على الفاعل المعرفي ذاته، إذ تُفهم المعرفة هنا على أنها ثمرة فضائل معرفية مثل الانتباه والصدق الفكري والانفتاح والتواضع المعرفي، ووفق هذا التصور لا يكفي أن تكون العملية المعرفية موثوقة أو أن يقوم الاعتقاد على علاقة سببية صحيحة، بل يجب أن يُمارس الفاعل فضائله المعرفية بإخلاص ليُعتد بمعرفته [14].

تقترب هذه الرؤية من الطابع الأخلاقي، حيث تُفهم المعرفة على أنها إنجاز شخصي للفرد العارف، لا مجرد صدفة أو نتيجة عرضية، وقد كان من أبرز منظّريها إرنست سوزا (Ernest Sosa) وليندا زاغزيبسكي (Linda Zagzebski) [7].

أخيراً تُظهر هذه الاتجاهات أن تعريف المعرفة في الفلسفة المعاصرة لم يعد بحثاً عن صيغة واحدة مانعة جامعة، بل أصبح ساحة مفتوحة للنقاش بين مقاربات متعددة تحاول معالجة النقص الكامن في النموذج الكلاسيكي، فبينما سعت الموثوقية والسببية لتأمين صلة موضوعية بين الاعتقاد والحقيقة، أبرزت السياقية أهمية الشروط الاجتماعية واللغوية في حين أعادت الفضائلية الاعتبار إلى البعد الأخلاقي والشخصي للمعرفة.

المبحث الرابع: نحو مقاربة جديدة لإشكالية تعريف المعرفة:

بعد استعراض التعريفات الكلاسيكية والمعاصرة للمعرفة يظهر بوضوح أن الإشكالية لا تكمن فقط في صياغة تعريف شامل، بل في طبيعة المعرفة ذاتها وما إذا كانت تقبل أصلاً التعريف بصورة نهائية، فالمعارف تتجدد باستمرار وتخضع لإعادة النظر كلما تغيرت أدوات الإنسان أو اتسعت آفاقه العلمية والفلسفية، لذلك فإن المقاربة الجديدة لا تنطلق من محاولة صياغة "حد جامع مانع"، بل من السعي إلى بناء إطار تركيبي مرن يتيح تجاوز حدود المقاربات السابقة والانفتاح على تعددية المستويات التي تشكل مفهوم المعرفة.

أولاً – دمج المستويات الثلاثة للمعرفة:

يمكن النظر إلى المعرفة من خلال ثلاثة أبعاد مترابطة:

1. **البعد الموضوعي:** يتمثل في علاقة الاعتقاد بالواقع، فلا يمكن الحديث عن معرفة ما لم يكن الاعتقاد متصلاً بحقيقة موضوعية خارجية، وهذا يعيد الاعتبار إلى مطلب "التطابق مع الواقع" دون الوقوع في إشكالية النسبية المطلقة.

2. **البعد الإجرائي:** يركّز على الكيفية التي يُكتسب بها الاعتقاد، أي على العمليات العقلية أو الأدوات المعرفية (كالإدراك الحسي أو الاستدلال المنطقي أو المناهج العلمية) التي تضمن درجة من الموثوقية وهذا ينسجم مع المقاربات المعاصرة التي تعطي أهمية للمنهجية والموثوقية epistemic reliability.

3. **البعد الذاتي/الأخلاقي:** يتمثل في الفضائل والقدرات التي يتحلى بها الفاعل العارف مثل النزاهة الفكرية والانفتاح على النقد والقدرة على التمييز بين المبررات القوية والضعيفة وهذا يبرز الدور المركزي لـ"فضائل الفاعل المعرفي" في إنتاج المعرفة وصيانتها [10].

إن الجمع بين هذه الأبعاد الثلاثة يسمح بالخروج من الثنائية التقليدية بين "المطابقة للحقيقة" و"التبرير"، فالمعرفة ليست مجرد نتاج خارجي ولا هي عملية آلية، بل هي علاقة مركّبة بين الإنسان والواقع عبر وسائط عقلية ومنهجية وأخلاقية.

ثانياً: المعرفة كعملية ديناميكية لا كحالة ثابتة:

تتعامل هذه المقاربة مع المعرفة باعتبارها عملية مستمرة تتضمن البحث والتصحيح والمراجعة أكثر مما هي حالة مكتملة ونهائية، فهي عملية مفتوحة أمام الخطأ والتصويب مما يجعلها قريبة من التصورات البراجماتية التي ترى الحقيقة "نتيجة قابلة للتعديل" وليست معطى مطلقاً، وهذا الفهم الديناميكي ينسجم مع طبيعة التقدم العلمي حيث لا يُنظر إلى المعارف على أنها حقائق نهائية، بل على أنها نظريات مؤقتة قابلة للمراجعة في ضوء الأدلة الجديدة [2].

ثالثاً: البعد الاجتماعي والمعرفي المشترك:

تؤكد هذه المقاربة أيضاً على أن المعرفة لم تعد شأناً فردياً محضاً، بل هي نتاج شبكات اجتماعية ومؤسسات علمية تتفاعل عبر معايير محددة للتحقق والاختبار والنقد، فالمعرفة اليوم تتشكل في بيئة تشاركية ما يجعل بعدها الاجتماعي شرطاً أساسياً لفهمها، وهذا يعكس الانتقال من النظرة الفردانية الكلاسيكية إلى مقاربة ترى المعرفة كمشروع إنساني جماعي تحكمه آليات الحوار والتداول والاعتراف المتبادل [5].

رابعاً: نحو تعريف إجرائي مفتوح للمعرفة:

استناداً إلى ما سبق، يمكن اقتراح تعريف إجرائي للمعرفة بوصفها عملية إنسانية جماعية، تقوم على اعتقاد صادق يتأسس على مبررات موثوقة ويتحقق عبر فاعل معرفي يتحلى بفضائل عقلية وأخلاقية ضمن سياق اجتماعي يسمح بالتداول والتصحيح المستمر.

بهذا المعنى لا تسعى المقاربة الجديدة إلى إغلاق باب الجدل بتقديم تعريف نهائي، بل إلى إعادة صياغة السؤال بحيث تصبح المعرفة فضاءً مفتوحاً للتجديد وتبقى قابلة للتأويل بحسب تطور الفكر الإنساني والعلوم.

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات

1. يمثل تعريف المعرفة قضية إشكالية متجددة لم يُحسم فيها الجدل منذ الفلسفة اليونانية القديمة وحتى الفلسفات المعاصرة.

2. أثبت التعريف الكلاسيكي للمعرفة باعتبارها اعتقاداً صادقاً مبرراً محدوديته بعد اعتراضات جيتييه التي أبرزت قصوره.

3. قدمت المقاربات المعاصرة بدائل متعددة منها الموثوقية التي ربطت المعرفة بآليات إدراكية موثوقة، والنظرية السببية التي اشترطت علاقة سببية مباشرة بين الواقع والاعتقاد، ونظرية فضائل المعرفة التي ركزت على البعد الأخلاقي للفاعل المعرفي.

4. كل اتجاه حاول معالجة قصور التعريف الكلاسيكي لكنه تعرض بدوره لنقد، مما يوضح أن مفهوم المعرفة متعدد الأبعاد.

5. يعد التكامل بين المناهج المختلفة أكثر المسارات وعداً لتقديم تعريف شامل للمعرفة يأخذ بعين الاعتبار المبررات والموثوقية والارتباط بالواقع والفضائل الفكرية.

6. المعرفة ليست مجرد حالة ذهنية أو عملية خارجية، بل هي ثمرة تفاعل بين الذات والواقع وبين العمليات الإدراكية والفضائل الفكرية.

7. تعكس إشكالية تعريف المعرفة تعكس طبيعتها الديناميكية والمتطورة مع تطور الفلسفة والعلم والممارسة الإنسانية.

التوصيات:

1. ضرورة تبني مقاربة تكاملية لتعريف المعرفة تجمع بين الأبعاد التقليدية والمعاصرة بما يحقق رؤية أكثر شمولاً وتوازناً.

2. الاهتمام بالبعد الأخلاقي للمعرفة عبر تعزيز فضائل التفكير النقدي والصدق الفكري والانفتاح المعرفي ضمن المناهج التعليمية والفلسفية.

3. توسيع الحوار الفلسفي بين الاتجاهات المختلفة (الكلاسيكية والمعاصرة) لتجاوز النظرة التجزيئية وبناء نموذج معرفي جامع.

4. إدماج نتائج العلوم المعرفية الحديثة وعلم النفس الإدراكي في النقاش الفلسفي لتعزيز فهم أعمق لطبيعة المعرفة وآلياتها.

5. تشجيع الدراسات المقارنة بين النظريات الفلسفية القديمة والحديثة لإبراز نقاط الالتقاء والاختلاف بما يساهم في بلورة رؤية أكثر تطوراً.

6. تعزيز البحث في تطبيقات نظرية المعرفة في المجالات العملية مثل الذكاء الاصطناعي، التعليم، والبحث العلمي لفهم انعكاسات التعريفات المختلفة للمعرفة.

7. الدعوة إلى مقاربة مرنة لإشكالية المعرفة تراعي تعددية السياقات الثقافية والفكرية بما يسمح بتجاوز النزعة الأحادية في النظر إليها.

References

[1]. A. Badawi, "Encyclopedia of Philosophy". Lebanon: Arab Foundation for Studies and Publishing, (In Arabic), 1984.
[2]. A. K. S. Al-Umiri, "Epistemology of Cultural Criticism", *Studies: Humanities and Social Sciences*, vol. 47, no. 2, pp. 230-242, (In Arabic), 2020.
[3]. C. Fierro, R. Dhar, F. Stamatiou, N. Garneau, A. Sogaard, "Defining Knowledge: Bridging Epistemology and Large Language Models", in *Proceedings of the 2024 Conference on Empirical Methods in Natural Language Processing*, Miami, Florida, USA, 2024, pp. 16096-16111.
[4]. D. Al-bassam, "Epistemology of the Pandemic: On "Knowledge of Knowledge" (Body, Culture, and Society)", *Omran Magazine*, vol. 9, no. 36, pp. 13-44, (In Arabic), 2021.
[5]. G. Schurz, *Optimality Justifications: New Foundations for Epistemology*. United Kingdom: Oxford University Press, 2024.
[6]. H. Kornblith, *Scientific Epistemology: An Introduction*. United Kingdom: Oxford University Press, 2021.
[7]. J. Greco, *Achieving Knowledge: A Virtue-Theoretic Account of Epistemic Normativity*. United Kingdom: Cambridge University Press, 2010.
[8]. J. K. Al-Tamimi, "In the epistemology of philosophical linguistics", *Journal of Educational and Human Sciences*, 1, 13-22, (In Arabic), 2020.
[9]. M. A. Benton and J. L. Kvanvig, *Religious Disagreement and Pluralism*. United Kingdom: Oxford University Press, 2021.
[10]. M. Kim and J. Thorne, "Epistemology of Language Models: Do Language Models Have Holistic Knowledge?", in *Association for Computational Linguistics*, Kerrville, USA, 2024, pp. 12644-12669.
[11]. M. Zidan, "Epistemology between Islamic thinkers and contemporary Western philosophers". Lebanon: Dar Al Nahda Al Arabiya for Printing, Publishing and Distribution, (In Arabic), 1989.
[12]. N. Maxwell, *Our Fundamental Problem: A Revolutionary Approach to Philosophy*. Montreal, Canada: McGill-Queen's University Press, 2020.
[13]. N. Maxwell, *The World Crisis - And What To Do About It: A Revolution for Thought and Action*. Singapore: World Scientific, 2021.
[14]. Q. Cassam, *Vices of the Mind: From the Intellectual to the Political*. United Kingdom: Oxford University Press, 2019.
[15]. R. Audi, *A contemporary introduction to the theory of knowledge*. United Kingdom: Routledge, 2011.
[16]. S. Yaqteen, "Can we talk about narrative epistemology?", *Al-Quds Al-Arabi*, Jun. 18, 2024. [Online]. Available: https://share.google/1QWhoqq39fG1uGSU6, (In Arabic).
[17]. T. Williamson, *Knowledge and its Limits*. United Kingdom: Oxford University Press, 2002.
[18]. Z. N. Mahmoud, "Epistemology", *Hindawi Foundation for the Dissemination of Knowledge and Culture*, pp. 76, (In Arabic), 2018.